

يحتجون بكلام الجاحظ:

هذا وللجاحظ كلمة كثيراً ما رأينا شدة التاريخ الإسلامي من عرب ومستعربين يحتجون بها في هذا الباب، وهي قوله: "دولة ولد العباس أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان عربية أعرابية" (6) ومن رأينا أنها كلمة لا تصلح للاحتجاج فيما نحن فيه؛ لأن صاحبها قالها في معرض المقارنة بين الدولتين من حيث استخدام الشعر والكلام العربي البليغ لحفظ الوقائع، وتقييد المآثر وتخليد المحاسن.

1- كان قحطبة يقارن بأبي مسلم صاحب الدولة، ولال قحطبة دالة كبيرة على العباسيين الأول، ولما وقع أحد الماويين للمنصور من آل قحطبة أسيراً في يده لم ينتقم منه وقال: "لست أقتل أحداً ومن آل قحطبة، بل أهب مسيئهم إلى محسنهم، وغادرهم لوفيههم". البيان والتبيين (2/156).

2- المشهور ابن قريط لا ابن طريز.

3- انظر عن هزيمته في خراسان الكامل (5/192) وعن مقتله في حرب واسط المصدر نفسه (209 - 211)

4- قتله قحطبة سنة 131، وما رأى عسكر يجمع شتي المؤن والالات والذخائر كعسكر ابن ضبارة، وكان يسمى: "عسكر العساكر" حتى كأنه مدينة، انظر عن ذلك الكامل (5/189 - 19) وتاريخ الطبري (9/94 - 95) ونجد لعامر بن ضبارة الغطعاني المري المشار إليه - وهو من أهل حوران - ترجمة في تاريخ دمشق لابن عساكر (7/155 - 1456)

5- انظر عن مقتل نباتة بن حنظلة ومن معه من أهل الشام على يد قحطبة تاريخ الطبري (9/105 - 106) وهذه الواقعة بين قحطبة وابن ضبارة كسابقتها من الوقائع الحاسمة في هذا النزاع. ولا شك أن الكفاح كان مريراً جداً في خراسان والعراق بين عمال الأمويين وبين أنصار الدعوة العباسية في هذه المرحلة من مراحل النزاع، أنظر الكامل لابن الأثير "5/184" ويراجع عن أخبار قحطبة "183، 188 - 192" من المصدر المذكور، وتاريخ الطبري "9/104، 114، 116، 117" وعن مكانة القحاطبة في الدولة العباسية وحرمتهم ودالتهم على المنصور

و من رأي الجاحظ أن العصر الاموي امتاز بهذا الضرب من الأدب البدوي العربي، والعرب وهم أميون أحفظ وأوعي لما يسمعون، وأكثر عناية بالاشاد وضرب الامثال. ومن رأيه كذلك أن أنصار بني العباس قصرُوا عن الامويين في حفظ وقائعهم وتدابير ملوكهم وسياسات كبرائهم في أهل الشام وما جرى لهم في هذا السبيل من حر الكلام وشريف المعاني في الدولة العباسية، إلى أن قال: "كان فيما قال المنصور وما فعل في أيامه وما أسس لمن بعده منا يفي بجماعة ملوك بني مروان"(1).

أولع الجاحظ بتكرار هذا المعني في كتبه(2) على وجه يؤكد لنا أنه لم يقصد بالكلمة المذكورة إلا الناحية الادبية العربية دون السياسية، وقد عقد في رسالته التي سماها (مناقب الاتراك) فصلا قارن فيه بين العرب والعجم من حيث استخدام